مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات سياسية وأستراتيجية في دار الكتب والوثائق ٦٧٨ لسنة ٢٠٠٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-9464
Info@baytalhikma.iq

عرض كتاب
وقائع الأزمة السودانية ٢٠٢٤-٢٠٢٣م
التقديرات والآفاق

أ.د. عبد العظيم إسماعيل عبد العال (*)

صدر حديثاً عن مركز دراسات الشرق الأوسط في الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٢٥م كتاب «وقائع الأزمة السودانية ٢٠٢٤-٢٠٢٣م- التقديرات والآفاق» لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبد السلام بغدادي، ويقع الكتاب في نحو ٥١٠ صفحة من القطع المتوسط، ويعد وثيقة علمية وتاريخية تنطوي على قدر عال من الأهمية. وهو ثمرة جهد لخبير قضى جل سنوات عمره الأكاديمي باحثاً في شؤون الأدغال الأفريقية عموماً، لكنه أبدى دوما إهتماما متعاظما بشؤون السودان على وجه الخصوص، هذا البلد الذي يحظى عند المؤلف بمكانة خاصة دفعته لزيارة السودان والتجول في عاصمته المثلثة (الخرطوم، بحري،وأم درمان) في ديسمبر من العام ١٩٩٩م، هذا فضلًا عن أن المؤلف يرتبط بعلاقات إجتماعية وعلمية مع عدد مقدر من السودانيين، أكاديميين، وباحثين، وطلاب علم.

جاء الكتاب بهيكلية منتظمة وسلسلة، إذ أحتوى فضلًا عن المقدمة والمدخل التاريخي على سبعة فصول وخاتمة تناولت رأي المؤلف ورؤيته الثاقبة بحكم خبراته المتراكمة لحل الأزمة السودانية.

الفصل الأول: السودان في المنظور الاستراتيجي/ الاقتصادي.

لم يغفل المؤلف إستعراض الأهمية الإستراتيجية لموقع السودان الجغرافي في القارة الإفريقية وهو موقع يستوي وموقع القلب في الإنسان، وهو يطل كذلك على ساحل طويل على البحر الأحمر الذي يمثل شريانا مهماً في حركة التجارة الدولية، وذلك في ظل التسابق المحموم لكافة القوى الإقليمية والدولية للسيطرة والتحكم في تلك الممرات، لاسيما الموانيء المهمة ومنها ميناء «بورتسودان.»

أما إقتصاديا فقد إمتلك السودان موارد وميزات إقتصادية مهمة جعلته مطمعا للعديد من القوى الخارجية، إذ أضحى السودان في مهب رياح

(*) جامعة سنار السودان - كلية العلوم السياسية

Semi-annual Quarterly journal issued byPolitical and Strategic Studies In Bayt Al-Hikma Baghdad
No.of deposit at Political and Strategic Studies(678)2009
ISSN.2223-9464
Info@baytalhikma.iq

الأطماع الشرقية والغربية معا، وإن تلك القوى الان لا تبدو جادة في إنهاء الصراع في السودان طالما إن هذا الوضع يحقق لها الكثير من المكاسب. فالسودان- وفق المؤلف- يتوافر على إمكانات كبيرة في الزراعة والإنتاج الحيواني والتعدين وغيرها، فهو يمتلك احتياطيا مقدرا من الذهب تصاعد إنتاجه من ٦٧ طنا عام ٢٠١٥م إلى نحو ٩٠ طنا عام ٢٠١٧م، وتجاوز حاجز ال٣٠١ أطنان في ما تلى من أعوام، هذا عدا الصمغ العربي والجلود والمحاصيل الزراعية المتنوعة والمعادن الأخرى.

الفصل الثاني: تعقيدات الصراع ومعوقات الانفراج.

تجسدت مهارات المؤلف هنا وتبدت خبراته في استعراض تعقيدات المشهد السوداني منذ الإطاحة بالرئيس «عمر البشير» في ١١ أبريل/نيسان ٢٠١٩م. فقد تناول أطراف المشهد السوداني والصراعات الظاهرة والخفية بين اللاعبين الجدد «قوى الثورة المختلفة» واللاعبين القدامى «فلول النظام المباد»، وكذلك القوى العسكرية بجناحيها «الجيش» و «قوات الدعم السريع»، هذا فضلا عن الحركات المسلحة التي كانت تقاتل ضد النظام السابق، ولكل من هذه الأطراف توجهات وأهداف قد تلتقي مع هذا وتتقاطع مع ذاك الأمر الذي أفرز وضعا مرتبكا وهشا.

وقد لخص المؤلف تلك التعقيدات تحت العناوين الآتية:

إنقسام قوى الحرية والتغيير. .الدولة العميقة.

.صعوبة الوصول إلى حلول. .إستبعاد القوى السياسية المدنية.

أنتجت هذه الصراعات تحت ضغط أطراف داخلية وأخرى إقليمية ودولية ما عرف ب»الوثيقة الدستورية» لحكم الفترة الانتقالية، وهي عبارة عن شراكة بين المدنيين والعسكريين لكنها- في تقدير المؤلف- لم تكن نموذجاً مثالياً يفضي إلى حكم راشد ووضع مستقر.

الفصل الثالث: أطراف الصراع

تناول هذا الفصل طرفي الحرب في السودان «الجيش ضد الدعم السريع» منطلقاً من خلفية تاريخية عن تكوين مليشيا « الجنجويد» بقيادة زعيمها آنذاك موسى هلال، ثم صعود نجم إبن عمومته محمد حمدان دقلو «حميدتي» الذي أسس قوات الدعم السريع برعاية مباشرة من الرئيس عمر البشير الذي كان يقول»: حميدتي حمايتي» في إشارة إلى حماية نظامه من أي انقلاب عسكري قد يقوم به الضباط المغامرين في الجيش. ترقى حميدتي وتزايد نفوذه وتنامت قوته العسكرية والاقتصادية حتى قرر إثر تصاعد وتيرة المظاهرات عامي ٢٠١٩-٢٠١٨م التخلي عن حماية البشير الوقوف إلى جانب مطالب المتظاهرين، وأسهم بشكل

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات سياسية وأستراتيجية في دار الكتب والوثائق ٦٧٨ لسنة ٢٠٠٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-9464
Info@baytalhikma.iq

واضـح ومؤثر في إجبار الرئيس البشـير على التنحي وقبول التغيير.

وعلى الرغـم من ظاهر العلاقة الجيدة بين قائد الجيـش الفريق عبدالفتـاح البرهان وقائد الدعم السريع الفريق محمد حمدان دقلو، إلا أن الأخير كان يـرى أن البرهان غير صادق في توجهاته السياسـية، وإنه يناور من أجـل إعادة عناصر الحكـم السـابق لمفاصـل الدولة مـرة أخرى، ويتمتـع رأي «حميدتي» بصدقيـة عالية أثبتها إنقـلاب البرهان على حكومة الفتـرة الانتقالية برئاسـة «عبـد الله حمدوك» فـي ٢٥ أكتوبر/ تشـرين الأول ٢٠٢١م. إذ حـل البرهـان لجنة إزالـة التمكيـن التي عملت علـى تفكيك النظام السـابق، وألغـى كافـة قراراتها، وأعـاد كافة المفصولين مـن عناصر النظـام المباد. وعلى الرغم من مشـاركة حميدتي فـي هذا الانقلاب إلا إنـه عاد وأعتذر عنه علنا في جلسـة توقيع الإنفاق الاطاري مقرا بخطئه.

ولعـل تماهـي البرهـان مـع رمـوز النظـام السـابق وولائه لهم بقيادة علـي كرتي، وأحمد هـارون، واسـامة عبـد الله وغيرهـم، هـو ما شـجع تنظيم المؤتمر الوطني المحلول للإعلان صراحـة وعبـر فعاليـات إفطـارات رمضان الـذي إندلعت فيـه الحـرب ، أن أي إتفاق بين المدنيين والعسكريين لا يشمل المؤتمر الوطني وخصوصـا «الإتفـاق الاطـاري» سـيدفعهم لإشـعال حرب لا تبقي ولا تـذر وهو ما حدث بالفعل صبيحة يوم١٥ ابريل/نيسان ٢٠٢٣م.

الفصل الرابع: تداعيات الصراع.

كان لهذا الصراع تداعيات مؤلمة على الصعيد الإنساني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقـد أورد- المؤلف- إحصائيـات مخيفة جعلت الوضع في السـودان في المقدمـة كأكبر كارثة إنسـانية فـي العالـم، خصوصـا وأن الحـرب هجـرت نحو أكثر مـن ٢٠ مليون إنسـان من منازلهـم ما بين نـازح داخليا ولاجيء في دول الجوار والدول الأخرى. كل ذلك في ظل انهيار تام للبنى التحتية، وانقطاع الخدمات الأساسـية مثل إمـدادات الميـاه، والكهرباء، والمشـافي، والمـدارس، والجامعـات، وكافة المؤسسـات الحكومية والخاصة.

أمـا على الصعيـد الإجتماعي فيتهدد السـودان نمـوذج «الصوملـة» وذلـك فـي ظـل تفاقـم الصراع، وتنامي خطاب الكراهية، والقتل على الهوية والمناطقية والقبلية. وهنا جاءت مخاوف المؤلـف- من إجتذاب عناصر إرهابية من دول أخـرى تجـد ضالتها فـي السـودان وتتخذ منه مـلاذا آمنا لها لتحقيق أهدافها وإطلاق عملياتها الإرهابيـة علـى غـرار ما حـدث فـي اليمن، وسوريا، وليبيا.

وعلـى الصعيـد الاقتصـادي فالوضـع حرج للغاية، لا سـيما في ظل ضعف وتواضع جهود القوى والمنظمـات الدولية لإنقاذ هذا البلد الذي تعطلـت فيـه كل مقومـات الإنتـاج الزراعية والصناعيـة والخدمية، فضلا عن نقص الوقود والأسـمدة ومدخلات الإنتاج عمومـا، وقد قفز

Semi-annual Quarterly journal issued byPolitical and Strategic Studies In Bayt Al-Hikma Baghdad
No.of deposit at Political and Strategic Studies(678)2009
ISSN.2223-9464
Info@baytalhikma.iq

الدين الخارجي إلـى نحو ٥٦ مليار دولار عام ٢٠٣٢م وإنعـكاس كل ذلك على حياة الشـعب السوداني.

الفصل الخامـس: تقديـرات ومواقف الدول الأفريقية.

بذلت الدول والمنظمات الإفريقية وعلى رأسها الاتحاد الأفريقـي، ومنظمة الإيغاد، فضلا عن دول جنوب السـودان، يوغنـدا، كينيا، إثيوبيا، تشـاد، وغيرها جهودا مختلفة فردية وجماعية طمعـا فـي النجـاح فـي إيجـاد حلول سـلمية للصراع السـوداني، وقد إسـتعرض- المؤلف- نمـاذج من تلك الجهود التـي واجهت فيما يبدو عقبات إنعدام الإرادة السياسية الداخلية لطرفي الصـراع لوقف الحـرب، والجلوس إلى طاولة المفاوضـات. والواقع أن الأطـراف الأفريقية سـواء دول أكانت أم منظمات لا تمتلك وسـائل ناجعـة لفرض الـرؤى الإفريقيـة على طرفي الصـراع من أجل تحقيق سـلام وأمن الشـعب السـوداني، وحتى لحظة صدور هـذا الكتاب، تعـد المسـاعي الأفريقيـة غير كافيـة لإيقاف صـراع دخل عامه الثالث، علمـا بأن تداعيات هذا الصراع إنعكسـت ولا تزال على كثير من الدول الافريقيـة، وخصوصاً دول الجوار التي تحملت أعباء رعاية اللاجئين، وإنشغلت بتأمين جبهاتهـا الداخلية في ظل السـيولة الأمنية على الحدود مع السـودان، مما أضاف عليها تبعات جديدة إقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وأمنيا.

الفصل السـادس: تقديرات ومواقف الأطراف الإقليمية والدولية.

«١ . إسرائيل:»

تتمتـع اسـرائيل بصـلات متفاوتة مـع طرفي الصـراع في السـودان أشـار إليهـا- المؤلف- وأوضح توجهات إسـرائيل للعب دور في إنهاء الصراع في السودان، فإن لم يكن مباشرة فعبر التنسيق مع حليفتها الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لإعادة الأمن والاسـتقرار للسودان بقيادة مدنيـة لا تمانع فـي إقامة علاقـات طبيعية مع إسـرائيل، أما إن تعذر ذلك فستعمل على إنتقاء حلفـاء من بيـن المتصارعين يمكـن أن يقودوا دويلات قد تنشأ على أنقاض الدولة السودانية.

٢ الولايات المتحدة الأمريكية:

أوضـح – المؤلـف- أهميـة السـودان فـي الإسـتراتيجية الأمريكيـة فـي منطقـة القـرن الأفريقي وشـرق أفريقيا عموما. وأسـتعرض محطات مهمة في مسيرة العلاقات الأمريكية – السودانية، وهي علاقات تميزت بالتأرجح تبعا لعدة إعتبارات، لكن سياسـة الجـزرة والعصا كانـت دائما حضورا في مشـهد هذه العلاقات، حيـث قدمـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة المساعدات للسودان في أحايين كثيرة، ثم عادت ومنعتها بل وفرضـت المزيد من العقوبات في أحيان أخرى.

وعلى الرغم من الثقل الأمريكي والتأثير الكبير للولايـات المتحـدة الأمريكيـة علـى الأحداث

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات سياسية وأستراتيجية في دار الكتب والوثائق ٦٧٨ لسنة ٢٠٠٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-9464
Info@baytalhikma.iq

في السودان، إلا أن السياسة الأمريكية حيال الصراع في السودان قد أثار التساؤلات وأضحت عرضة للإنتقاد، إذ إنحصرت جهودها في تقديم بعض المساعدات الإنسانية، وفرض العقوبات على قيادات وشركات طرفي الحرب، وإكتفت فيما يبدو بجهود تبذلها مع الوسطاء لإنهاء هذا الصراع.

٣ روسيا الاتحادية:

لروسيا الاتحادية علاقات متميزة مع السودان منذ عهد الرئيس المخلوع عمر البشير، وقد جاء الموقف الروسي المعلن من الصراع في السودان لصالح التهدئة وحل الخلاف سلميا، لكن فيما يبدو أن روسيا هي من أوائل المستفيدين من هذا الصراع، فالسودان يعد الدولة الإفريقية الثانية بعد الجزائر إستيرادا للسلاح الروسي، هذا فضلا عن تدفق الذهب السوداني إلى روسيا عبر عدة منافذ، كما تسعي روسيا جديا للحصول على قاعدة بحرية في بورتسودان، وكل ذلك في إطار التنافس الدولي مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا.

٤ الأمم المتحدة:

على الرغم من تواجد هيأة الأمم المتحدة في السودان عبر بعثة الأمم المتحدة المتكاملة لتقديم المساعدات خلال الفترة الانتقالية، وعلى الرغم من الخبرات المتراكمة للمنظمة الدولية بشؤون هذا البلد، إلا أن دورها لم يتعد التعبير عن القلق ومناشدة طرفي الحرب بوقف الإقتتال، وقد عجز مجلس الأمن في إيجاد سبيل ناجع لوقف هذه الحرب، وقد رأى- المؤلف- أن دور هذه المنظمة كان ولا يزال ضعيفا ولا يستوي وهدف المنظمة الأساسي في حفظ السلم والأمن الدوليين.

الفصل السابع: تقديرات ومواقف الأطراف العربية.

المملكة العربية السعودية:

تلعب المملكة العربية السعودية – حسب رأي المؤلف – دورا فاعلا في الأزمة السودانية، وذلك انطلاقاً من ثوابت قيمية «عربية- إسلامية»، فضلا عن الثقل السعودي الإقليمي ذو الأثر الواضح في المنطقة.

ويوضح- المؤلف- مصالح السعودية في السودان، لا سيما المشاريع الاقتصادية، إذ تعد السعودية الدولة الأولى إستثمارا في السودان، كما تحرص السعودية على ضمان بقاء القوات السودانية المشاركة في حرب اليمن، والتي تقدر بنحو ٠٣ ألف جندي، كما تحرص السعودية على التعاطي مع قيادة الجيش السوداني باعتباره يمثل مؤسسات الدولة ضمانا لمصالحها، إذ لا يروق لها التعامل مع حكومة مدنية ذات أطراف متشاكسة وتوجهات متقاطعة قد لا تحقق لها مصالحها. وفي سبيل ذلك قدمت ولا تزال الكثير من الدعم الإنساني للحكومة السودانية.

Semi-annual Quarterly journal issued byPolitical and Strategic Studies In Bayt Al-Hikma Baghdad
No.of deposit at Political and Strategic Studies(678)2009
ISSN.2223-9464
Info@baytalhikma.iq

دولة الإمارات العربية المتحدة:

لدولــة الإمــارات العربية المتحدة إســتثمارات كبيرة في السودان، بلغت قيمتها نحو ٧ مليارت دولار. وربمــا تطمع في المزيــد، وتبدي دولة الإمــارات اهتمامــا كبيــرا بقطــاع الموانيء، إذ تســعي للحصــول على إمتياز تشــغيل ميناء بورتســودان، وبالعدم إنشــاء مينــاء جديد على البحــر الأحمر «أبــو عمامة» بتكلفــة ٤ مليار دولار. وعلــى الرغــم مــن دعــم الامــارات للعســكريين عقــب التغيير عــام ٢٠١٩م، لأن ذلك يتناسب ومزاجها السياسي، إلا إنها إتجهت لخلق علاقــات متميزة مع قيادة الدعم الســريع حينما أحســت بأن قيادة الجيش تتماهى وطموح «الإخوان المسلمين» في العودة للسلطة، وهي التــي تعمــل على محاربــة ودحر الإســلاميين والحؤول دون

عودتهــم مرة أخــرى، مثلما حاربتهــم في ليبيا واليمن. وعلى الرغم من دعوات الإمارات

المتكررة لتحقيق الســلام في الســودان، إلا أن أصابع الإتهام تشير إليها بمناصرة قوات الدعم السريع ماديا ولوجستيا.

دولة قطر:

تســهم قطــر منذ حكــم الرئيــس عمر البشــير إســهاما ملحوظاً في الشــأن الســوداني، وعلى الرغم مــن النصح الذي قدمته لقائد الجيش عبد الفتــاح البرهان للإلتــزام بمنبر جــدة والتعامل الإيجابــي معه، إلا أن قطــر تقف ضمن محور تركيا- إيران- روســيا الداعم للجيش السوداني. ولقطر إســتثمارات كبيرة فــي قطاعات مختلفة في الســودان، وهي تقدم الدعم الإنســاني علنا، والعســكري والسياســي ســرا لقائــد الجيــش والإسلاميين.

جمهورية مصر العربية:

علــى مــر التاريخ كانــت مصر حضــوراً في الشــأن الســوداني، وذلك لحجم تأثير الأحداث فــي الســودان على الحيــاة المصريــة عموما، ســواء على الصعيــد السياســي أو الاقتصادي وحتــى الاجتماعــي. ولا يمكــن إغفــال أهمية السودان لمصر في ما يتعلق بمياه النيل الهاجس المصري الأكبــر. والواقع إن مصر تحاول إن تمســك بخيــوط اللعبة السياســية في الســودان وتوجهها حســب مصالحها، فهي قد دعمت كل الأنظمة العســكرية في الســودان، ولم تدعم أي حكومة مدنيــة وخصوصا حكومة الدكتور عبد الله حمــدوك، لأنها لا تريد حكومة خارج دائرة التأثيــر المصري، وتعمل الان علــى دعم قائد الجيش البرهان لأنه يمتثــل للإرادة المصرية، ويحقــق مصالحها، ســواء الإقتصاديــة بتدفق المنتجات الخام الســودانية لتصنيعها في مصر وإعــادة تصديرهــا كإنتــاج مصــري، أو تلك المتعلقة بمياه النيل ومشكلة سد النهضة.

وعلى الرغم من أن مصر تحارب الأســلاميين داخلها، إلا إنها تدعم البرهان في السودان رغم علمها بعجزه عن الفكاك من قبضة الإسلاميين،

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية في بيت الحكمة - بغداد
رقم إيداع مجلة دراسات سياسية وأستراتيجية في دار الكتب والوثائق ٦٧٨ لسنة ٢٠٠٩
رقم الإيداع الدولي ISSN 2223-9464
Info@baytalhikma.iq

لكن الحسابات المصرية فيما يبدو تعتقد بقدرة مصر على لجم طموح إسلاميي السودان وتدجينهم وتوجيههم بما يتحقق المصالح المصرية.

تصور السودان في مرحلة للاستقرار بعد الحرب- فرص واعدة

يؤكد- المؤلف- أن السودان على مغترب طرق، فإما إن تجنح الأطراف المتصارعة فيه إلى السلام، وإما إن تختار الاستمرار في الحرب الصفرية فيتفتت السودان بالنتيجة إلى كيان متصارعة.

وأوضح أن خيار السلام هو الحل العقلاني، حيث لا طرف سينتصر عسكريا على الآخر، وإن خيار السلام سيحفظ للبلد وحدته وإستقراره، ويفتح آفاق جديدة للنهوض من كوم الرماد، وذلك بإعادة البناء والإعمار، وإنجاز علاقات خارجية مثمرة مع دول العالم، وترتيب البيت الداخلي بما يخدم حياة السودانيين.

الخلاصة:

يخلص- المؤلف- للآتي:

- عدم قدرة أي من طرفي الصراع على تحقيق نصر حاسم.

- ضعف فاعلية مؤسسات المجتمع المدني، والقوى السياسية في السودان، وعجزها عن الفعل المرير في هذه الأوقات الحرجة.

- ضرورة إيجاد حل واقعي يتمثل في الحوار الوطني السوداني- السوداني، وذلك دون إستبعاد الجهود الدولية والاقليمية المبذولة لحل الصراع.

- يرى المؤلف، أن الحل الانتقالي والعملي الذي ينبغي أن تكون له أولوية جوهرية يكمن في تشكيل «حكومة وطنية» تأخذ على عاتقها مهمة وضع خارطة طريق تجعل من هذه الحرب آخر حروب السودان، وذلك بوضع حلول تخاطب جذور المشكلات المؤسسية والبنيوية في الدولة السودانية، وأن تكون الانتخابات هي الطريق الوحيد للوصول ألى السلطة في البلاد.

ختاما يمكن القول، إن الكتاب بعد مرجعا مهما وثق أحداث أخطر مرحلة في تاريخ السودان منذ تكوينه الحديث، وهو قيمة علمية ترفد المكتبات العربية وتعين الباحثين والمهتمين، مما يدعو لإقتنائه حتى تعم الفائدة.